إلى متى يبقى شباب الاسلام وقوداً لمعارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل؟

بقلم الشيخ؛ أبي محمد المقدسي

{وَكَـذَلِكَ نُـوَلِّي بَعْـضَ الظَّـالِمِينَ بَعْضـاً بِمَـا كَـانُواْ يَكْسِبُونَ}.

يقـول اللـه تبـارك وتعـالى: {فَلا تَكُـونَنَّ ظَهِيـراً لِّلْكَـافِرِينَ}... فليـس مـن ديـن المسـلمين نصـرة الكفـار شرقيينَ كانوا أم غربيين... ولا يحل للمسلم أن يبذل عمره ويتلف نفسـه نصـرة لكـافر علـى كـافر... ولا يـبرر ذلـك أو يسوغه كون هذا الكـافر أحمـر وذاك أسـمر... وليـس ذلـك مـن الحكمـة والكياسـة فـي شـيء وإن لمعـه وزخرفـه المتكلمون.

أوقفـوا هـذه المحـارق، فلا ينبغـي أن يغـرر بالشـباب المسـلم ويـزج بهـم فيهـا، كمـا حصـل مـرارا فـي عصـرنا الحاضر في ميادين لا ناقـة للإسـلام فيهـا ولا جـم،ل يحثهـم عليها أناس ما فقهوا من دين الله إلا الاسم، ولا من توحيده إلا الرسم.

تربعـوا خلـف مكـاتبهم، يبنـون فـوق جمـاجم الشـباب بروجا عاجية، ويتقربون بـذلك إلـى مـن شـاؤوا أن يتقربـوا إليه، ويتلونون مع الظروف المتقلبة بما يناسبها، لا يراعـون في ذلك ملة التوحيد أوعراها الوثقى.

فمـع تكـاثف أنبـاء الضـربة الامريكيـة المحتملـة علـى العـراق، صـرت أقـرأ وأسـمع هنـا وهنـاك مـن يقـول مـن الشباب؛ لا بد من عمل ولا بد من نصـرة العـراق والوقـوف في صفه ضد الأمريكان.

فماذا يقصدون بالعراق؟ أهو النظام أم ماذا؟

والى متى هذا التمييع والتلبيس؟

أي عراق هذا الذي يريدون نصره؟

أهو عراق البعث وعراق صدام وعفلق وطارق حنا ميخائيل؟

أم العراق الذي قتّل علماءنا وذوّب أجسادهم في الأسيد؟

أم العراق الذي أباد مسلمي حلبجة بالكيماوي كما تباد الحشرات، لا فرق بين شيوخهم وصغارهم ونسائهم ورجالهم؟

أم العراق الذي أعدم وقتل إخواننا الدعاة الأبرار - سواء في أرض العراق أم في الكويت أم في غيرها - بجريرة الدعوة إلى الله أو بحجة الوهابية أو المقاومة؟

أي عمل يريده الشباب المتحمس لنصرة للعراق؟

ولماذا تفهم دعوة وفتاوى بعض المشايخ الأفاضل لنصرة الشعب العراقي خطأ؟

فيدمج الشعب المظلوم مع قيادته الظالمة في بوتقة واحدة، ولا يميز بين هذا وتلك، بعبارات حماسية هلامية مميعة لدعائم الاسلام وعراه، لا تميز أو تفرق بين الطغاة والشعوب أو المؤمنين والمجرمين والمسلمين والفجار.

يبرر بعضهم فيقول؛ إن جهاد الكفار مشروع في كل مكان، وثمراته مفيدة حيث كان، وقتال الامريكان الصليبيين من ذلك.

وهكذا كان التبرير الذي سوغ كثيرا من محارق الشباب المسلم وجهودهم من قبل، والتي أثمرت في النهاية تسلق علمانيين أو زنادقة إلى دفة الحكم.

<u>فنقول؛ ولماذا القتال الان؟</u>

وأين كنتم في كل يوم كانت تدعم فيه أمريكا إسرائيل في ذبح إخواننا المسلمين في فلسطين وتدمير بيوتهم وتشريد أهلها؛ بسلاحها وأموالها وقوتها وبحق "الفيتو" الذي تسخره لليهود؟!

اين كنتم يوم كانت طائرات الصليبيين تدك كابول وجارديز وهيرات وقندهار؟!

وأين كنتم يوم كان إخواننا المجاهدون يساقون أسارى أمام شاشات التلفزة وعلى اعين العالم أجمع، لا نصير لهم ولا مغيث إلى "جوانتانامو"؟!

ألا يجـوز لنـا أن نتشـكك بـدوافع هـذا الحمـاس، وهـذا الاندفاع، ومن يقف خلفه في هذا الوقت بالذات؟

يا قومنـا لا تجعلـوا مـن جهـادكم وجهـودكم وأعمـاركم وأجسادكم وقودا لطواغيت الكفر في بلادنا! فنحـن بحاجـة لأن تكون وقودا للدين الخالص ولدعوة التوحيد وإقامة دين الله في الارض.

وكلامنا هذا لا يعني تأييد ضرب شعب العراق أو توسيع رقعة سيطرة الصـليبيين الأمريكـان... كلا فمـا هكـذا تـورد الابل، ولا يقول بذلك عاقل؛ وإنمـا الـذي ننكـره - وبوضـوح ودون مواربة - أن تكون جماجم الشباب المسلم - فـي أي مكـان - سـلما لأمجـاد الطـواغيت، يحسـب جهـادهم لهـم، ويصب في أرصدتهم ويقطفون ثمرته.

فليس من الدين ولا من العقل أن تنصر كـافرا محاربـا على كافر محارب آخر، مهما كانت هويته.

عندما كان عراق البعث حارسا للبوابة الشرقية للوطن العربي - كما كان يحلو لبعض المغفلين وصـفه إبـان حـرب الخليج الاولى مع إيران - كان الخليج كله يقف بماله ونفطه وقوته خلف صدام البعث، ولم نكن نسـمع حسـا ولا همسـا لفتاوى علماء السـلاطين هنـاك فـي تكفيـره والـبراءة منـه آنذاك.

ولم نكن نعجب من وقـوف انظمـة الخليـج فـي خنـدق صـدام، فهـم يخشـون علـى عروشـهم ومصـالحهم وليـس بوسع جيوشهم المترفة أن تتصدى للزحف الايراني.

لكـن عجبنـا يومهـا كـان ليـس لـه حـدود؛ مـن وقـوف حركات إسلامية بثقلها في عدوة صدام وخنـدقه... لا فـرق في ذلك بين من انتهـج منهـم النهـج السـلفي - زعمـوا - أو النهج الحركي الإخواني ونحوه.

وقد فهمنا وقتها أن هـؤلاء وأولئـك أوتـوا مـن تخبطهـم من قبل في عـرى الاسـلام الـوثقى، ومـن تفريطهـم بفهـم

التوحيد الحق ولوازمه وواجباته، وعدم تبصرهم بسبيل المجرمين.

لكن عجبي لم يكن له حدود من أن يكون ذلك مع نظام البعث ذي التاريخ الاجرامي المعروف والصريح والمجاهر في عداوته للإسلام والمسلمين... فلو كان التخبط مع غيره ممن قد يشكل حاله عليهم لحاولنا اختلاق المعاذير.

لكن كيف وهم يسمعون الدنيا كلها تتحدث عن جرائم صدام في حق شعبه وإبادته لهم بالسلاح الكيماوي؛ ثم ومع هذا يعلنون وقوفهم في صف البطل الصنديد وقيادته الفذة، كما جاءت الكلمات صارخة في وصف صدام آنذاك في منشور نشر في الصحافة لجمعية "إحياء التراث" السلفية الكويتية دفاعا عن العراق الأبي، والذي كما قالوا: (في رقبة كل عربي ومسلم دين له)! وذبا عن قيادته الفذة التي تعرضت لهجمة إعلامية أمريكية؛ وذلك بعد أن استعمل النظام الأسلحة الكيماوية في إبادة مسلمي حلبجة...

وأذكر يومها أننا زرنا هذه الجمعية وكنا شبابا أغرارا - كما يحلو للكبار الفاهمين وصفنا! - واجتمعنا بشيخها آنذاك نحاوره ونناقشه وننكر عليه ذلك البيان وأنه لا يليق بالسلفيين، وأنه تكريس لمقولة من يقول أن السلفية تسير في ركاب الحكام... فأنكر الرجل ذلك وادعى ان الناس لن يقولوا ذلك، لأنهم يرون السلفيين مضطهدين مسجونين من قبل الحكام... فقال له أحد إخواننا: (سم لي سلفيا واحدا على منهجكم هذا اضطهد او سجن في يوم من الأيام؟!)، فلم يحر الشيخ جوابا وأخذ بحديث طويل، انتقل فيه من مصر الى السودان الى أمريكا الى اسرائيل الى غير ذلك من الكلام المنمق الذي لا يفهمه - كما يقولون - إلا الكبار العارفين بالسياسة! ليبرر وقوفهم في صف وعدوة البعثيين ويقنعنا بصحة ذلك البيان وأنه صدر بلا رهبة أو رغبة - كما قال -

فالعراق "ترسانة الوطن العربي" و "بوابته الشرقية"، وعليه تعقد الآمال في الوقوف في وجه الزحف الرافضي وفي ضرب اليهود... و... و... و...!

أتبرر هذه الفلسفات وتبيح للمسلمين؛ أن يقفوا في خندق بعض الكفار أو ينحازوا إلى عدوة صنف من المشركين وحدّهم؟

ويومها ذكّرته بأننا سلفيوون ولسنا بمقلدة، وأنه لم يذكر في حديثه الطويل هذا دليلا شرعيا وحيدا يقنعنا به.

وإذا كانت تصورات القوم وولاءاتهم متخبطة ولا يبنون تصوراتهم على توحيد خالص وولاء وبراء بينين... أقلا يعتبرون بالواقع المرير المشاهد أمام أعينهم في العراق؟ أما لهم عقول يفكرون بها؟

أفيبيد الطاغية أبناء شعبه للحفاظ على كرسيه، بل ويقتل في كل أونة من مقربيه ومساعديه وأبناء عمومته من يحس بأدنى شك في ولائه... ثم يكون بغيرهم أرحم؟ إنها معادلة واضحة لا تحتاج إلى تطويل شرح وبيان، لذلك كان ما فعله بعد ذلك في الكويت طبيعيا وعاديا بالنسبة له من جهة، وبالنسبة للسنن الكونية من جهة أخرى.

أذكر أنني زرت أنا وبعض الإخوة الكويتيين الأفاضل تركيا، وذهبنا إلى جنوبها حيث كان يتواجد اللاجئون الأكراد النازحون بعد مذبحة حلبجة وغيرها، وتجولنا في مخيمات اللاجئين في ديار بكر وماردين وموش، وقابلنا الأكراد وقدمنا لهم ما استطعنا جمعه من تبرعات وإعانات، ولما رأينا كثافة عدد النازحين وقلة ما أحضرناه من معونات أخذنا معنا إلى الكويت عند عودتنا مطويات ومنشورات وصور عن مذبحة حلبجة لعلنا نجمع من خلالها لإخواننا المسلمين الأكراد شيئا أكثر من المعونات، وكان فيمن زرناه في الكويت أملا في ذلك "بزيع الياسين" مدير "بيت التمويل الكويتي"، وهي مؤسسة يديرها الإخوان المسلمون هناك.

ذهبنا إليه بعد أن شاهدناه على شاشات التلفزيون يقبل صدام حسين ويناوله شيكا تبرعا من "بيت التمويل" بقيمة مائة ألف دينار للمساهمة في إعمار منطقة الفاو التي دمرتها الحرب، ويوم دخلنا مكتبه؛ نظر إلى ثيابنا القصيرة وشعورنا الطويلة شزرا، فهو من علية القوم الذين يفهمون في كل شيء! ونحن عنده وعند امثاله؛ شباب أغرار مساكين ليس لنا إلا التعامل مع النصوص بسطحية ساذجة! أما الواقع والسياسة فلا نفهم منها شيئا!... نثرنا مطوياتنا على مكتبه العريض الذي يقع في

الطابق الأعلى من مبنى "بيت التمويل الكويتي" حيث ترى شوارع الكويت الوضيئة من واجهته الزجاجية، وذلك قبل أن "تخرمشها" و "تدشدشها" دبابات البطل الصنديد وقيادته الفذة بأشهر معدودات.

فسأل عن هذه الصور باستهجان وما قصتها؟ فبينا له أنها صور إخواننا المسلمين الأكراد وصور نسائهم وأطفالهم الذين أبادهم صدام بسلاحه الكيماوي، وأبرزنا بين يديه صورة شيخ يلف يديه على طفل رضيع يحميه وقد سقط على وجهه ميتا كما هو ضاما لذلك الطفل... وصوراً أخرى لنساء وأطفال وشباب وشيوخ، وحتى الدواب والدواجن، كل ذلك لم يسلم من السلاح الكيماوي البعثي الذي وصلهم جميعاً ولم يصل إسرائيل ولن يصلها في يوم من الأيام... أبرزنا له ذلك كله بحماس ساذج؛ علنا نحرك في الرجل ساكناً فيتبرع ببعض الدنانير! فلم نكن نطمح بمئة ألف كالتي أعطاها لصدام!

فما كان منه إلا أن نفض يديه وقال: (لا، لا هذا مستحيل، هذه صور غير حقيقية ومزورة، ولا يمكن أن يفعل صدام مثل هذا، صدام حسين سني قح ولا يقاتل إلا الروافض)!

فأقسمنا له أيمانا مغلظة أنها صور حقيقية، وأكدنا له أن هذه المذابح حصلت وجميع وكالات أنباء العالم - باستثناء عالمكم المؤيد لصدام - تكلمت عنها.

فقال: (لا، مستحيل، صدام لا يقتل السنة، اذا كانت الصور حقيقية فيمكن هذا الكيماوي رشه صدام على الشيعة فردته الريح على السنة)!

فعجبنا منه، يحرّم الريح البريئة ليبريء صدام المجرم! وذكرنا له بطش البعثيين عموما وكفرياتهم... فقال لنا بحنكته السياسية المنقطعة النظير وفهمه للواقع المرير: (لا، لا، لا، اسمعوا أنا عندي معلومات أكيدة عن واقع صدام، وأنتم لا تعرفون، هناك تياران في حزب البعث؛ تيار بعثي كما تقولون... وتيار آخر سني قح يقوده صدام، والأمور لا تتأتى له بيوم وليلة، فيجب أن نصبر عليه).

فحاولنا افهامه ان هذا كلام غير صحيح، وانه لو كان صحيحا فصدام لا يهمه أحد ويبطش بخصومه جميعا في أقل من يوم وليلة... فضاق بنا ذرعا ونهض عن مكتبه قائلا:

(اسمحولي، انا ماني فاضي، عندي موعد مع السفير العراقي بعد قليل، عندنا مشاريع في العراق نريد أن نتدارسها)، وأشار إلى ملفات كثيرة على مكتبه كتب عليها "السفارة العراقية".

فقلت له وأنا خارج عند باب مكتبه، بحماسة الشباب واندفاعهم، وقد غاظني إذ لم نظفر منه بفلس لإخواننا الأكراد: (المائة ألف التي أهديتها لصدام ماذا تتوقع أن يبني فيها صدام؟ مساجد أم بارات وخمارات؟)، فأجابني مغضبا وهو قائم يشير إلى الباب، يأمرنا بالخروج: (سترى بعينك)! أو بالعامية: (تشوف بعينك)!

وصدق والله الرجل، فقد رأيت بأم عيني بعد ذلك بأشهر معدودات؛ دبابات ومجنزرات جيش البعث تدك الكويت وشوارعها وتشرد أهلها، ورأيت هذا الرجل وأمثاله ممن كانوا سببا لدمار تلك الديار يولون الأدبار... وصدق الله: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

فهل يَعتبر من هذا بعض الذين يسعون الى الوقوف في خندق البعث وعدوته وصفه اليوم بحجة نصر العراق على الأمريكان... إننا ننادي وناديناً بجهاد الأمريكان من قبل عندما كانت بيوت إخواننا في فلسطين تدك ويقتل أطفالهم ونساؤهم، وكذلك عندما دمرت أفغانستان وقتل إخواننا فيها تقتيلا.

فلماذا لم يتحرك هؤلاء إلا الآن وفي هذا الاتجاه المشبوه؟

ولماذا ولمصلحة من تخلط الأوراق وتلبّس الصفوف وتميّع أوثق عرى الأيمان؟

أذكر أننا يوم زرنا مخيمات الأكراد في جنوب تركيا مع أولئك الاخوة الأفاضل، قام أحد الشباب الأكراد في الجمع يشكرنا ويشكر حكومات بلادنا! مسميا طواغيتها بأسمائهم من جابر إلى فهد إلى غيره، على هذه الاعانات التي قدمناها لهم!

فما كان لنا أن نسكت ونمرر مثل هذا الفهم والتخليط والخطأ الفاحش، بل أنكرناه وقمت وعقبت على كلامه وأفهمتهم أن هذه المعونات ليست من الحكومات ولا من

أولئك الطواغيت، بل هي تبرعات إخوانكم وأخواتكم الـذين يعانون مثلكم من ظلم وكفر الطواغيت في بلادنا أيضـا، ولا فرق بين طغاة بلادنا وطغاة بلادكم، فكلهم طواغيت كفرة، فلا شكر لهم علـى ذلـك، وان شـئتم ان تشـكروا فاشـكروا إخوانكم المسلمين.

وكأن أخا من إخواننا الكويتيين الأفاضـل لـم يقنـع بهـذا التعميم والتلميح الـذي ذكرتـه، فقـام بعـدي فأعطاهمـوهـا صريحة جلية، حيـث أكـد مـا قلتـه، ثـم قـال: (فجـابر كـافر وطاغوت مثل صدام، وأيضا فهد كافر وطاغوت مثل صدام، وكذلك سليمان ديمريل كافر وطاغوت).

وكـان الجمـع محشـوا بالمخـابرات التركيـة الـذين لـم يسـمحوا لنـا أصـلا بـدخول مخيمـات اللاجئيـن إلا بشـق الأنفس، والاسم والوصـف الـذان ذكرهمـا الأخ واضـحان لا يحتاجان إلى ترجمان، فتغيـرت وجـوه القـوم وتنكـرت لنـا، وبادرنا سراعا بالخروج وسط غضب ولوم وجدال مرافقينـا الذين أتوا بنا إلى هناك.

وهذا يجعلني أستدرك فأقول - درءا لسـوء الفهـم - إن في الأمة لخيرا، فلن يعـدم الخليـج وإبنـائه أمثـال هـذا الأخ الموحد ثبته الله وأمثاله.

ثم أقول: هل يعي إخواننا الدرس؟ وهـل يعلمـون أن لا فرق بين طاغوت وطاغوت؟ وأنه لا يحل نصرة كـافر علـى كافر... كما وأنه لا يحل أن تنصر وحشا كاسرا علـى وحـش آخر؛ فكلاهما عدو... وأيهما انتصر فستكون أنت طعاما له.

لـن نُحمّلهـم مـا تحمّـل أخونـا ولـن نطلـب منهـم أن يقولوها صراحة بملء أفواهم كما قالها... لكن يكفينا منهـم أن يعوها ويفهموها.

أبو محمد المقدسي
25/ جمادى الآخر/ سنة 1423
من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام